المحاضرة الثانية / اللغة العربية / المرحلة الثانية / قسم الارشاد / الفصل الثاني .

ـ كعب بن زهير وقصيدته ((بانت سعاد)) :

ـ حياته :

كعب بن زهير(٦٦٢م / ٢٤ هـ) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى، المزني، أبو المضرَّب شاعر مخضرم من أشهر قصائده اللامية التي مطلعها بانت سعاد. شاعر مخضرم عاش عصرين مختلفين هما عصر ما قبل الإسلام وعصر صدر الإسلام. عالي الطبقة، كان ممن اشتهر في الجاهلية ولما ظهر الإسلام هجا النبي محمد، وأقام يشبب بنساء المسلمين، فأهدر دمه فجاءه كعب مستأمناً وقد أسلم وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول، فعفا عنه النبي، وخلع عليه بردته. وهو من أعرق الناس في الشعر: فأبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير وابنه عقبة وحفيده العوّام كلهم شعراء.

تلقن كعب الشعر عن أبيه مثله مثل أخيه بجير، وكان زهير يحفظهم الشعر منه شعره ويقولون عن كعب أنه كان يخرج به أبوه إلى الصحراء فيلقي عليه بيتاً أو سطراً ويطلب أن يجيزه تمريناُ ودرّبه، كما أن كعباً كان في عصر ما قبل الإسلام شاعراً معروفاً أكثر من الحطيئة. حاول كعب أن ينظم الشعر منذ حداثته فردعه أبوه، مخافة أن يتسفّل ويأتي بالضعيف فيشوّه مجد الأسرة، وما زال يهذّب لسانه ويجهّز شاعريته برواية الشعر حتى استقام له النظم.

ـ نسبه :

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رياح بن العوام بن قُرط بن الحارث بن مازن بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن لاطم بن عثمان بن مزينة ، وأمه امرأة من بني عبد الله بن غطفان يقال لها كبشة بنت عمار بن عدي بن سحيم .

ـ سنة ولادته ووفاته :

تاريخ مولد شاعر الإسلام كعب بن زهير مجهول تقريباً. إلا أن كثيراً من مراجع التاريخ والأدب أكدت أن كعب بن زهير بن أبي سلمى توفي نحو سنة ٦٦٢م / ٢٤ هـ.

ـ شعره :

كعب بن زهير بن أبي سلمى أحد الفحول المخضرمين، وكان كعب قد بلغ من الشعر والشهرة حظاً مرموقاً حين دعاه النبيَّ إلى الإسلام، وإذا اسلم أخوه بجير وبّخه واستحثه على الرجوع عن دينٍ لم يكن عليه أحد من أبائه، فهجاه كعب ثم هجا النبي، فسمع شعره فتوعده وأهدر دمه، فهام كعب يترامى على القبائل أن تجيره فلم يجره أحد، فنصحه أخوه بالمجيء إلى النبي مسلماً تائباً، فرجع بعد أن ضاقت الأرض في وجهه، وأتى المدينة وبدأ بأبي بكر ودخل المسجد وتوسل به إلى الرسول فأقبل به عليه وآمن وأنشد قصيدته المشهورة (بانت سعاد)، فعفا عنه النبي عليه الصلاة والسلام ، وخلع عليه بردته فسميت قصيدته بـ (البردة) ثم حسن إسلامه وأخذ يصدر شعره عن مواعظ وحكم متأثراً بحكم القرآن وظهرت المعاني الإسلامية في شعره .

ـ صاحب القصيدة هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، كتبها اعتذارًا للنبيّ الكريم عمّا بدر منه في القصيدة التي عرَّض فيها برسول الله ومنها الأبيات الآتية مع نقدها بصورة مبسطة :

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ

مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُفدَ مَكبولُ

يصف الشاعر حالته بعد فراق محبوبته، فبعدما فارقته سعاد فراقًا بعيدًا أُصيبَ قلبه بالدّهشة والذهول من شدّة ما أصابه، فصار بعدها كأسير محبوس لا يجد فداءً يفديه، وكأنّه مأسور إلى الأبد بسبب هذا الفراق.

وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إِذ رَحَلوا

إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ

يُشبّه سعاد بالغزال صاحب الصوت العَذب الجميل الذي توجد غنة في صوته، والغنة صوت يخرج من الخياشيم، ويُشبّه عيونها السوداء بعيون الغزال شديدة السواد التي لا يوجد فيها بياض، وهذا دليل على شدة جمالها.

هَيفاءُ مُقبِلَةً عَجزاءُ مُدبِرَةً

لا يُشتَكى قِصَرٌ مِنها وَلا طولُ

يستمر الشاعر في وصف جمال محبوبته، فيصفها بشابّة مُقبلة على الحياة لا تشتكي من شيء، ويصف شكلها بأنها متوسطة الطول فلا هي قصيرة ولا هي طويلة وهذه سمة من سمات الجمال عند المرأة.

تَجلو عَوارِضَ ذي ظَلَمٍ إِذا اِبتَسَمَت

كَأَنَّهُ مُنهَلٌ بِالراحِ مَعلولُ

ثم يتابع الشاعر وصف محبوبته، فيصف ابتسامتها بشيء يذهب الهموم كما يذهب جلي السيف الصدأ عنه، فلديها ثغرًا باسمًا طيّب النكهة وكأنّ رائحة الطيب تخرج عندما تبتسم، ويُشبّه هذه الرائحة برائحة الخمر الذي .

شُجَّت بِذي شَبَمٍ مِن ماءِ مَحنِيَةٍ

صافٍ بِأَبطَحَ أَضحى وَهُوَ مَشمولُ

ثم يصف الماء الذي اختلط به الخمر الذي وصف به رائحة هذه المرأة بأنّه بارد وصافٍ ، فهو يخرج من بطون الأودية التي ضربتها رياح الشمال الباردة، وكأنه أخذ منها وقت الضحى فهو أبرد وأنقى من أي ماء.

تَجلو الرِياحُ القَذى عَنهُ وَأَفرَطَهُ مِن

صَوبِ سارِيَةٍ بيضٍ تعاليلُ

كشفت الرياح القذى والأوساخ العالقة عن هذا الماء وصفته ونقته تنقية تامة، ثم مُلأت القربة بماء المطر النقي الطاهر الذي تركته الأمطار بالوادي، وهذا المطر نزل من السحابة التي أمطرت ليلًا.

أكرم بها خُلَّةً لَو أَنَّها صَدَقَت

موعودها أَو لَو أَنَّ النُصحَ مَقبولُ

يَصِف سعاد بأنّها كريمة وتمثل أفعال الكرم الموجودة عند العرب، إلّا أن خِلافها بالوعد وعدم قبولها النّصح يتنافى مع أخلاقها الكريمة التي تميزت بها، فلو خَلت من تلك الصفات لبلغت أتَّم صفات الكمال.

فَما تَدومُ عَلى حالٍ تَكونُ بِها

كَما تَلَوَّنُ في أَثوابِها الغولُ

ثم يتابع قوله فيقول عنها إن هذه المرأة تتغير من حال إلى حال ولا تستمر على شيء، وتنتقل من صديق إلى غيره، فيصفها بأنها تتلون بألوان شتى وصور مختلفة كالغول، والغول معروف عند العرب أنه شيء يتخفى ولا يظهر مثل الشياطين.

وَلا تَمَسَّكُ بِالعَهدِ الَّذي زَعَمَت

إلّا كَما تُمسِكُ الماءَ الغَرابيلُ

يُشبّه إخلافها في المواعيد بالغربال الذي يغربل به الحنطة؛ فهي لا تتمسك بالوعد إلا كإمساك الغربال بالماء، وهذا مستحيل مثل استحالة التزامها بالمواعيد، وهذه مبالغة في نقضها للمواعيد وعدم وفائها بها.

فَلا يَغُرَّنَكَ ما مَنَّت وَما وَعَدَت

إِنَّ الأَمانِيَ وَالأَحلامَ تَضليلُ

يقول الشاعر لنفسه لا يغرك ما تقوله وتزيّنه لك من الكلام ولا ما وعدتك به من الوعود وأخلت به، فالأماني التي وعدتك بها باطلة فاسدة مثل أمنيات الإنسان وأحلامه التي يراها في منامه ولا يستطيع تحقيقها فهي زائلة.

كَانَت مَواعيدُ عُرقوبٍ لَها مَثَلاً

وَما مَواعيدُها إِلّا الأَباطيلُ

يُشبّه الشاعر إخلاف سعاد بالمواعيد بإخلاف عرقوب بمواعيده، وعرقوب رجل اشتهر عند العرب بأخلاف الوعد والكذب، فصار يُضرب به المثل في ذلك، فسعاد مثله مواعيدها كاذبة تخلو من الصدق.

أَرْجو وآمُلُ أَنْ تَدْنو مَوَدَّتُها

وما إِخالُ لَدَيْنا مِنْكِ تَنْويلُ

رغم كل ما قاله الشاعر عنها إلا أن حبه واشتياقه لها بدا واضحًا جليًا في هذا البيت، فهو يأمل أن تعود سعاد يومًا ما وتقترب مودتها وعاطفتها منه، فهو يلمس طيف الوصال ويراه قد اقترب.

أَمسَت سُعادُ بِأَرضٍ لا يُبَلِّغُها

إِلّا العِتاقُ النَجيباتُ المَراسيلُ

هذا الوصال الذي يحلم به الشاعر مستحيل؛ فسعاد نأت إلى مكان بعيد جدًا يصعب الوصول إليه، فيحول ذلك البعد بينه وبين لقائه بمحبوبته، ولا يستطيع أن يبلغها إلا بالإبل السريعة القوية.

وَلَن يُبَلِّغها إِلّا عُذافِرَةٌ

فيها عَلى الأَينِ إِرقالٌ وَتَبغيلُ

يبدأ الشاعر في هذا البيت بوصف الناقة التي ستأخذه إلى سعاد ويقول: لن تبلغ الطريق الطويل إلا ناقة ضخمة شديدة الظهر لا تتعب من مشقة الطريق، وهي سريعة جدًا تمشي مِشيةً سهلة منبسطة .

مِن كُلِّ نَضّاخَةِ الذِفرى إِذا عَرِقَت

عُرضَتُها طامِسُ الأَعلامِ مَجهولُ

يستمر الشاعر في وصف هذه الناقة، فهي تنضح بالعرق السائل من خلف أذنيها من شدة سرعتها لسيرها في الشمس، ويصف معرفتها القوية بالصحراء، فإذا اعترضها شيء تهتدي به وحدها لشدة معرفتها بموطنها.

تَرمي الغُيوبَ بِعَينَي مُفرَدٍ لَهَقٍ

إِذا تَوَقَّدَتِ الحُزّانُ وَالميلُ

هذه الناقة ترى الأماكن التي تغيب عن رؤياها الأعين بعيني ثور أبيض شديد البياض، فهي تعرف الطريق بينه وبين محبوبته جيدًا، وتألفه كما يألف الثور منطقته الصغيرة المحدودة .

ضَخمٌ مُقَلَّدُها فَعمٌ مُقَيَّدُها

في خَلقِها عَن بَناتِ الفَحلِ تَفضيلُ

يبدأ الشاعر بوصف ضخامة عنق وجسد الناقة، ويصف ارتفاع سيقانها وقوائمها، وكل هذا يدل على مدى سرعتها وقوتها في السير لمسافات طويلة وهي محملة بالأثقال، ويذكر أنها من أجود بنات الفحول فهي بنت فحل كريم حسن التكوين.

▪ معاني المفردات في قصيدة :

بانت: فارقت.

لم يُفدَ: لم يخلص من الأسر.

الأغن: الظبي الصغير الذي في صوته غنة.

هيفاء: ضمور البطن ودقة الخاصرة.

العوارض: الثنية من الأسنان.

ذو شبم: ماء شديد البرد.

مشمول: ضربته ريح الشمال حتى برد.

القذى: ما يشوب الماء ويكدّره.

الصوب: المطر.

الغرابيل: الغربال الذي ينخل به الطحين.

أرقال وتبغيل: ضربان من السير السريع.

النضاحة: الكثيرة العرق.

الذفرى: النقرة التي خلف أذن الناقة.

مُفرَدٍ: الثور الوحشي الذي تفرد في مكان.

اللهق: الأبيض.

الحُزّانُ: الأماكن الغليظة.

%%%%%%%%@@@@@@@@##############